



لا يتوقف الحديث عن ضرورة تحسين صورة مصر فى الخارج، وحتوية هواجمة الهفالتات المنتشرة على صفحات جرائد وشاشات الإعلام الغربى. يذكر البعض ضرورة تأسيس محطة تليفزيونية عالمية تخرج بالإنجليزية.

وأخرون تحدثوا عن موقع إخبارى إلكترونى باللغة الإنجليزية يقدم كذلك صحافة محترمة ومحترفة راقية تجذب القراء وتهلأ الفراغ فى تقديم أخبار مصر الصحيحة على الساحة الدولية بأدوات وأشخاص ينتهون للقرن الحادى والعشرين.

يعتقد أنصار هذه الدعوات أن معضلة تحسين صورة مصر فى الخارج تتبثق من غياب آليات عرض الأخبار المصرية بصورة إيجابية للعالم، وأن هناك فجوة يجب أن يردها الإعلام الحكومى المصرى كى ينال رضاء الرأى العام العالمى.

* * *

إلا أن هذه الأصوات تدرك فى أغلبها أن كل ما يتم من نقاش حول هذه النقاط هو للاستهلاك الهلأ لا أكثر، وربما رغبة فى إرضاء جهات حكومية لا يدرك القانونون عليها تعقيدات مشهد الإعلام العالمى وكيفية صناعة الأخبار وعرضها، والنهم علاقة القانونين عليها بدوائر الحكم خاصة فى الولايات المتحدة.

ويدرك نشر مقالات على صفحات الجرائد المهمة مثل نيويورك تايمز أو واشنطن بوست أو مقابلات تليفزيونية هنا وهناك تنتقد ممارسات النظام المصرى فيها يتعلق بالحريات والحقوق الهدنية ملف تحسين صورة مصر بالخارج بصورة أصبحت روتينية وتسبب الهلأ من تكرار الكلمات والمصطلحات والتى لم تتغير منذ عهد الرئيس السابق حسنى مبارك.

لن تتجج أى من هذه الهبادرات أو المقترحات لسبب بسيط وهو أنها تخلق هيئة وجثة هاهدة، لأسباب عديدة أهمها أن القانونين عليها ينتهون للقرن العشرين ولا يتحدث بلغة وأدوات القرن الحادى والعشرين. ويهتلأ غياب منطق حرية النشر وقيود الرقيب الفعلى أو الذاتى الشخصى حدا يهنع نجاح أى من هذه الهبادرات.

هل تجرؤ هذه المبادرات المنتظرة على التمتع بما يتمتع به مواقع مستقلة، يتم متابعة أغلب ما تنشره من دوائر الإعلام والسياسة الأمريكية المهتمة بالشأن المصري؟

هل تستطيع مواقع الصحف المصرية المتحدثة بالإنجليزية أو التليفزيون الكومى المتحدث بالإنجليزية التعرض لموضوعات تتناول أخبارا وقضايا حساسة فى مصر؟

هذه هى نوعية الأخبار التى تحظى باهتمام من القارئ والسياسى فى الغرب لها انعكاسه من تطورات سياسية واقتصادية مهمة بخصوص مصر وهسارها، والنهر مستقبلا.

لا ينقص الحكومة المصرية الموارد المالية لتحسين صورتها فى الخارج، ففى واشنطن فقط تنفق القاهرة حاليا ما لا يقلل عن ربع مليون جنيه على جهود تحسين الصورة من خلال تعاقدات على النقل مع ثلاث شركات لوبى وشركات علاقات عامة.

وتنص القوانين الأمريكية على ضرورة نشر صور هذا التعاقدات وعرض طبيعة الأنشطة التى تقوم بها تلك الشركات. فهل سيتعرض الإعلام الكومى الجديد لنقاش جاد حول هذه التعاقدات والهدف منها وكيفية تهويلها، والنهر كيفية قياس كفاءة الأداء لهذه الشركات؟!

وبعيدا عن جهود التحدث الإعلامى للغرب وأمريكا تحديدا، تشتغل جهود تحسين الصورة فى الولايات المتحدة بمبادرات لها مردود سلبي شديد السوء.

أولها يتمثل فى الوفود الإعلامية والشعبية المصاحبة لزيارة كبار المسئولين المصريين سواء تلك القادمة لواشنطن أو لنيويورك.

هذه الوفود تتحدث بالعربية وللداخل المصرى من الولايات المتحدة، وبلا أى مردود على الداخل الأمريكى، وناهيك عن ارتفاع التكلفة وغياب الشفافية عن جهات التهويل والإشراف والترتيب لهتل هذه الفعاليات.

ثانى هذه المبادرات السلبية ما يطلق عليه «الدبلوماسية البرلمانية» والتي تكون فى صورة زيارة لوفود برلمانية مصرية لواشنطن.

وتكون النتائج كذلك شديدة السلبية، فأغلب الحضور لا يعرفون تفاصيل صنع السياسة المصرية بدقة سواء فى جانبها الداخلى أو الخارجى بسبب طبيعة النظام الرئاسى المصرى الذى تهيمن عليه السلطة التنفيذية.

خلال مشاركتى فى بعض الجلسات المغلقة مع الزائرين من مصر أشهد طرح أسئلة جادة من خبراء الشأن المصرى فى واشنطن، وتكون الإجابات متوقعة لا تأتى بجديد

مقنع أو مبرر.

تركز الإجابات على جهل تقليدية غير ذات معنى مثل الاستقلالية التامة للقضاء المصري وعلى عدم التدخل الحكومي في شئونه، وتوافر جميع إجراءات التقاضي للمواطنين بغض النظر عن انتهاكاتهم السياسية أو الدينية، وأن أي انتهاكات أمنية لحقوق الإنسان ما هي إلا حالات فردية استثنائية يتعامل معها مكتب النائب العام. كذلك يتم تذكير الحضور الأمريكي كثيرا ببدأ الفصل بين السلطات المتبع في مصر وعدم تدخل السلطة التنفيذية في الشؤون البرلمانية أو القضائية.

* * *

لا يمكن تحسين الصورة إلا بطرق طبيعية غير مصطنعة، صحيح أن الصورة الذهنية هي فن وصناعة يلعب فيها الإعلام والاتصال المباشر ووسائل التواصل الاجتماعي أدوارا مهمة، إلا أنه مهما بلغت قوة هذه الوسائل فإنها تقف عاجزة عن عرض صورة مغايرة للواقع.

صورة مصر بالنسبة لشعوب وساسة العالم ارتفعت للسماة قبل ثماني سنوات مع ثورة 25 يناير بدون أي تخطيط أو استراتيجيات.

جهود تحسين الصورة لم ولن تتجح طالما كان الواقع مغايرا. ويعكس الحماس لعمليات التجميل المختلفة غيابا لأي فهم موضوعي لطبيعة وديناميكيات التفاعل وتوازنات القوة في المجتمعات الغربية والأمريكية.

بيد أن تفسير غياب الفهم قد يكون مقبولا ممن هم غرباء على العاصمة الأمريكية. لكن الأمر يثير التساؤل عندها يتعلق الأمر بمن يعرفون واشنطن جيدا، ويدركون أن مردود هذه المبادرات والنفقات ليس له أي قيمة حقيقية.

* محمد المنشاوي كاتب صحفي في الشؤون الأمريكية من واشنطن.

المصدر | الشروق المصرية